مجلة الإبداعات
Issn : 2661-7625 Eissn : : 2773-3947
المجلد: 04 / العـدد: 02 ص 120– 135

الإنساني و الديني في فكر الأمير عبد القادر الجزائري: ثقافة الحرية والتسامح والحوار في فكره

The Humanitarian and Religious in the Thought of Prince Abdul Qader Al-Jazaery : The Culture of Freedom, Tolerance and Dialogue in his Thought

حنان معاشو[1]، مولاي متقدم[2]

[1] جامعة يحي فارس المدية (الجزائر)، Hanane1995maa@gmail.com

[2] جامعة يحي فارس المدية (الجزائر)، Moulaymed2018@gmail.com

مخبر الانتماء: الدراسات الادبية والنقدية

تاريخ الاستلام: 2021/12/26 تاريخ القبول: 202/02/24 تاريخ النشر: 2022/05/20

ملخص:

تعد شخصية الأمير عبد القادر الجزائري من اهم الشخصيات التاريخية التي عرفها سجل تاريخ الابطال الذين قدموا تضحيات كبيرة في مختلف القضايا الداخلية والخارجية ؛ فاشتهر الأمير عبد القادر ــرحمه اللهــ بعبقريته في تسيير شؤون وقضايا الدولة الجزائرية الحديثة بجدارة، ليخلد كرمز للوحدة الجزائرية المتماسكة مع بعضها البعض. وقد عرف بتسامحه في شتى المواقف ونهجه لحرية الحوار بين الأديان، وساعد فكره ــرحمه الله في ترسيخ مبادئ حقوق الإنسان و التعايش السلمي بين الشعوب، ونشره لرسالة السلم والسلام والحضارة في العالم.

ومن خلال ما سبق ذكره؛ نحن بحاجة لقراءة المصادر والمراجع و الوثائق المختلفة القديمة برؤية مغايرة تتناول شخصية الأمير عبد القادر الجزائري ــرحمه اللهــ كشخصية تاريخية من أجل تأسيس بيبليوغرافية متخصصة للباحثين والمهتمين بحياة الأمير عبد القادر الجزائري. حيث ساهم كوكبة من المؤرخين والباحثين في نشر بعض من الجوانب الإنسانية والحضارية والثقافية وحتى الوطنية في شخصية وفكر الأمير عبد القادر الجزائري لتجديد التعريف بها وبأبعادها المختلفة وإبراز مآثر مسيرتها الحضارية والثقافية وحتى

الوطنية كمسار جديد ومغاير عما سبق يدرس تجربة شخصية تاريخية وسياسية و وطنية بغية صيانتها على أكمل وجه وتوصيلها للأجيال القادمة للاستفادة منها.

كلمات مفتاحية:

الأمير عبد القادر الجزائري، شخصية تاريخية، الأبعاد الإنسانية والحضارية، الدولة الجزائرية الحديثة، التسامح، حرية الحوار والفكر.

تصنيفات JEL : Z00 , R50

Abstract:

The personality of Prince Abdoul Qader Al-Jazaeryis one of the most important historical figures known to the record of the history of the heroeswho made great sacrifices in variousinternal and external issues ; Emir Abdelkader, mayGod have mercy on him, becamefamous for hisgenius in managing the affairs and issues of the modern Algerian state withmerit.To Perpetuate as a symbol of Algerian unitycohesivewitheachother. He wasknown for histolerance of various situations and hisapproach to freedom of dialogue between religions, and histhought – mayGod have mercy on him – helped in consolidating the principles of humanrights and peaceful coexistence among peoples, and spreading the message of peace, peace and civilization in the world.

Through the foregoing ; Weneed to read the variousancient sources, references and documents with a different vision that deals with the personality of Prince Abdul Qader Al Jazaery – mayGod have mercy on him – as a historical figure in order to establish a specializedbibliography for researchers and thoseinterested in the life of Prince Abdul Qader Al Jazairi. Where a constellation of historians and researcherscontributed to the dissemination of some of the human, civilizational, cultural and evenpatriotic aspects of the personality and thought of Prince Abdul Qader Al Jazairi to renewitsdefinition and itsvarious dimensions and to highlight the exploits of its cultural and civilizationalpath as a new and

differentpathfrom the previous one thatstudies the experience of a historical, political and national personality in order to preserveit to the fullest And passit on to future generations to benefitfrom.

Keywords: Prince Abdul Qadir Al-Jazaery, historical figure, human and civilized dimensions, modern Algerian state, tolerance, freedom of dialogue and thought, religion.

JEL Classification Codes: Z00, R50

[1] **المؤلف المرسل**: حنان معاشو، Hanane1995maa@gmail.com

1. مقدمة:

تعتبر تجربة الأمير عبد القادر الجزائري التاريخية والسياسية منذ سنة **1832**م إلى غاية نفيه من الجزائر تجربة جديرة بالاهتمام والتنقيب من قبل المؤرخين والدارسين ذلك انه رجل جهاد؛ حارب المحتل بكل قوته العقلية والعسكرية من اجل بناء الدولة الجزائرية الحديثة، و خاض رحمة الله عليه العديد من المعارك دفاعا عن بلادنا الجزائر وكان يدعو من خلال خطاباته الكثيرة إلى مبدأ العدالة و التسامح والحرية والدفاع عن حقوق الإنسان، ليصبح هذا الرجل من أعظم رجالات الجزائر خلال القرن التاسع عشر ميلادي.

و قد حمل الأمير عبد القادر على عاتقه مشروع بناء دولة وطنية عربية حديثة منذ أن كان شابا تهدف إلى جمع شمل القبائل المتفرقة التي كانت متعصبة له ورافضة لفكرة الحرب معه ضد فرنسا، وذلك بتأسيس نظام حكم جديد مركزي و إنشاء جيش عسكري قوي ومنظم يمتاز بالإخلاص و حب الوطن والغيرة عليه، وهذا ما جعل بعض الدول الأجنبية الأوروبية الشعور ببعض الخطر والرهبة من دولة الأمير عبد القادر ، فالأمير من " ابرز وجوه المقاومة الجزائرية وأكثرها وعيا وأصالة ، لان عمله لم يكن رد فعل

عفوي أو محلي، بل كان رد فعل واع يعكس روح امة، كان عبد القادر يدرك بوضوح ضرورة وجودها وشروط هذا الوجود" (خير فارس، 1969، صفحة 227)، فكان بذلك الزعيم المثالي.

2. حياة الأمير عبد القادر الجزائري في سطور:

1.2 مولده و نشأته:

"هو عبد القادر بن محي الدين من عائلة شريفة دينية. ولد عام 1222هـ (1807م) في قرية القيطنة بناحية معسكر. وأخذ الفقه على والده وعلماء بلده، ثم ارتحل إلى مدينة وهران فاستكمل فيها ثقافته ودرس الفقه والأصول والحديث والعلوم اللسانية. فبرع في علوم الشريعة وألف فيها.و من تآليفه رسالته المسماة « بذكرى العاقل وتنبيه الغافل». خرجت إلى عالم الوجود عام 1271هـ نشرها ابنه. وهذه الرسالة بعث بها إلى المجمع العلمي الفرنسي الذي أسس سنة انتقاء أعضاء مراسلين يفيد من آرائهم وخبرتهم ما يضيفه إلى المعرفة الإنسانية مساهمة منه في خدمة الحضارة والرقي العقلي والفني" .(الطمار، 1969، صفحة 265)

يقول عنه الأستاذ **عبد المنعم القاسمي الحسني** : "هو العارف بالله التقي الأواه، عالم الأمراء، أمير العلماء، الأمير عبد القادر الجزائري، ينتهي نسبه إلى سيدنا إدريس بن إدريس الحسني الشريف... تربى في حجر والده الشيخ سيدي محي الدين بن مصطفى، فحفظ القرآن الكريم، وتلقى بعض العلوم بزاوية جده، ولما بلغ سنه أربع عشرة سنة انتقل إلى وهران لاستكمال تعليمه. في سنة 1241هـ سافر مع والده إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، ومنه توجها إلى دمشق رفقة الركب الشامي، ثم إلى بغداد فزارا حضرة القطب الرباني سيدي عبد القادر الجيلاني، وأخذ كل منهما إجازة الطريقة القادرية عن الشيخ محمود القادري نقيب السادة الأشراف ببغداد وشيخ السجادة القادرية، ثم رجعا إلى دمشق ومنها عادا إلى الحجاز، فحجا مرة ثانية، ثم رجعا إلى الوطن، وذلك سنة 1243هـ=1827م، وكان في مدة سفره يتولى خدمة أبيه بنفسه مع كثرة الخدم الذين كانوا معه". (القاسمي الحسني، 2005، صفحة 209_210) وقد "تلقى الأمير الشاب مجموعة من العلوم فقد درس الفلسفة (رسائل إخوان الصفا- أرسطو طاليس-

فيثاغورس) ودرس الفقه والحديث فدرس صحيح البخاري ومسلم، وقام بتدريسهما، كما تلقى الألفية في النحو، والسنوسية، والعقائد النسفية في التوحيد، وايساغوجي في المنطق، والإتقان في علوم القرآن، وبهذا اكتمل للأمير العلم الشرعي، والعلم العقلي، والرحلة و المشاهدة، والخبرة العسكرية في ميدان القتال". (الامير، 1971، صفحة 11)

2.2 بيعته و مقاومته في سطور:

أدرك الأمير عبد القادر الجزائري صعوبة توليه الإمارة بعد مبايعته، فقد كان له معارضون شرسون وقفوا في وجه توليه للجهاد ضد المستدمر الفرنسي، إضافة إلى ضعف الحالة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في تلك الفترة، خاصة فيما تعلق بالحالة العسكرية للدولة الجزائرية .حيث " في سنة 1248هـ= 1832م، بايعه اهل الجزائر وولوه القيام بأمرهم و محاربة العدو المحتل، و ذلك بعد أن طلبوا مبايعة والده فاعتذر عن قبولها، فلما بايعوه قام بالأمر أحسن قيام، وأحسن سياسة الرعية، مقتفيا آثار أسلافه السادة الأدارسة، فتمكن حبه في القلوب وامتثل لأمره الناس، وأنشأ معامل السلاح والأدوات الحربية، وظهرت منه شجاعة خارقة للعادة في مواجهة العدو" (القاسمي الحسني، 2005، صفحة 234) ، كما و"كان عمره 24عاما، أميرا وزعيما للجهاد. وجاء في صك البيعة أن اختيار عبد القادر لكونه ذا حزم وعزم وشجاعة وعقل سليم وذات سليمة صالحة لتنفيذ الأحكام فاجتمع أهل الحل والعقد وبايعوه من غير طلب للإمارة ولا متابعة للنفس الأمارة، بل بايعوه رغما عنه... ولم تكن البيعة فقط لجهاد الفرنسيين بل لإنقاذ البلاد من الفوضى والفتن وجمع الكلمة. ولقب عبد القادر ناصر الدين". (خير فارس، 1969، صفحة 234)

وقد وجه خطابه الأول إلى كافة العروش بعد قبوله البيعة قائلا: "... وقد قبلت بيعتهم_أي: أهالي وهران وما حولها_ وطاعتهم، كما أني قبلت هذا المنصب مع عدم ميلي إليه، مؤملا أن يكون واسطة لجمع كلمة المسلمين، ورفع النزاع والخصام بينهم، وتأمين السبل، ومنع الأعمال المنافية للشريعة المطهرة، وحماية البلاد من العدو، وإجراء الحق والعدل نحو القوي والضعيف، واعلموا أن غايتي القصوى

اتحاد الملة المحمدية، والقيام بالشعائر الأحمدية، وعلى الله الاتكال في ذلك كله" ، (الامير، 1971، صفحة 11) ومنه نلاحظ أن الأمير كان يهدف إلى إصلاح أحوال البلاد والعباد وترميم ما أصابهم من دمار وتشتت بسبب فرنسا.

وفي معاهدة دي ميشيل 1834م لم يهمل الأمير عبد القادر أمر وهران بل كان يسعى إلى الصلح والتفاهم مع الجنرال دي ميشيل " وقد سبق الاتفاق النهائي موافقة كل من الطرفين على شروط قدمها الطرف الآخر ثم اتفقا على اختيار صك هدنة واحد تحرر فيه مطالب الأمير باللغة العربية ومطالب دي ميشيل باللغة الفرنسية. كان الاتفاق عاما حول وقف الخصومة واحترام الدين الإسلامي و تحرير الأسرى الفرنسيين وحرية التجارة والاعتراف بسلطة الأمير خارج وهران ومستغانم وأرزيو، و إرجاع الفارين من رعايا الطرفين" (خير فارس، 1969، صفحة 236) ، بالإضافة إلى مطالب أخرى تخص حرية الشعب وأملاكه. لكن فرنسا نقضت المعاهدة وذلك سنة 1835م مما دفع بالأمير وقواته العسكرية بالخروج لمحاربتها ومحاصرتها، واستمرت المعارك بين الطرفين إلى غاية عام 1847م خاصة بعد معاركه الشرسة مع (كلوزيل) و الجنرال (بيجو) في المعركة الشهيرة تافنة بوادي تافنة عام 1837م ، و قد اضطر الأمير عبد القادر طلب يد العون من سلطان المغرب ، فوافق في بداية الأمر ولقي ترحيبا كبيرا ومساندة و تعاون من كل النواحي، لكن سرعان ما بدأت فرنسا بضرب بلاد المغرب ومحاربتهم و تهديدهم بسبب مساندتهم للأمير، ليجبر سلطان المغرب على إبرام معاهدة تنص على عدم مساعدة الشعب الجزائري مع إلزامه القبض على الأمير وتسليمه للسلطات الفرنسية، ثم بدأت قوات الأمير عبد القادر تضعف وحوصر من كل الجهات فقام بطلب شروط من أجل الاستسلام كانت جلها في خدمة الأمة الجزائرية، وقامت فرنسا بقبول تلك الشروط و استسلم الأمير عبد القادر في 21 سبتمبر 1847م ونفي بعدها بعيدا عن الجزائر وأدخلته فرنسا السجن.

3.2 وفاته وأهم مؤلفاته:

تعتبر فترة مقاومة الأمير عبد القادر الجزائري المسلحة بين 1832م-1847م من أهم الفترات التي شهدها العالم خلال القرن التاسع عشر ميلادي، ذلك أن شخصية الأمير من أعظم الشخصيات البطولية التي ساهمت وبشكل كبير في بناء الدولة الجزائرية الحديثة، وفي " منتصف ليلة السبت السابع عشر من شهر رجب 1300هـ=1883م انتقل الأمير عبد القادر الجزائري إلى رحمة الله، و ذلك بقصره الكائن ب (دمر) قرب دمشق، وقد تولى غسله وتكفينه نزيله الشيخ عليش، احد علماء الأزهر الشريف .وقد خلف رحمة الله عليه عشرة من البنين: أكبرهم الأمير محمد ويليه محي الدين، الهاشمي ابراهيم، احمد، عبد الله، علي، عمر، عبد المالك، عبد الرزاق، وخلف أيضا ستار من البنات، وزوجة، و أربع أمهات أولاد" (القاسمي الحسني، 2005، صفحة 211)، يقول عنه **محمد السيد عثمان** : " تاريخ الأمير عبد القادر تاريخ عظيم مشرف وهي حقيقة لا يستطيع إنكارها إلا جاحد مكابر، عطرت سيرته تاريخ هذا البلد المليء بالبطولات والأمجاد، ولا يحتاج منا إلى تشريف أو تكريم. فالناظر والمتفحص في تاريخ عبد القادر، يخرج بحقيقة واحدة هي إيمانه بالإنسان وما يمكن أن يقدمه للإنسانية، تاريخ غني ثري يحتاج إلى سنوات جهد طويل للكشف عن كل حقائقه وخباياه " (الامير، 1971، صفحة 03_04)، وقال عنه **فرحات عباس** : " لا نتكلم عن أحاديث المعارك التي اشتبك أثناءها أولئك الضباط مع الجيش الجزائري الذي نظمه الأمير عبد القادر بعد أن أصبح روح المقاومة و رئيس الدولة الجزائرية، و كثيرا ما خرج من تلك المعارك ظاهرا منتصرا، و أعطى الدليل بأنه قد جمع الحذاقة و الدبلوماسية الفائقة مع العبقرية العسكرية السامية والمهارة الحربية الرائعة" . (الامير، 1971، صفحة 19) بالإضافة إلى شهادة قيصر روسيا في شخص الأمير عبد القادر، يقول: " نحن اسكندر جميع الروسيين، إلى الأمير عبد القادر: اقتضت رغبتنا أن نشهر التفافنا إليكم بشهامتكم وعملكم بما اقتضته الإنسانية، واجتهادكم في إنقاذ ألوف المسيحيين من أهالي دمشق الذين وجدوا في خطر عظيم". (الامير، 1971، صفحة 19) فالأمير رحمة الله عليه سكنت في روحه حب الإنسانية حتى مع العدو الآخر.

له تآليف متعددة ومتنوعة منها أعمال فلسفية و تاريخية ودينية تصوفية، لعل أشهرها كتاب "**المواقف**" الذي اتبع فيه منهج شيخه ابن عربي في التصوف وكتابه "**ذكرى العاقل وتنبيه الغافل**" الذي

يحتوي على رؤيا فلسفية ودينية، وكتابه "**تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر و أخبار الجزائر**" الذي قام بإخراجه ابنه الأكبر الأمير محمد بعد وفاة والده، وكتابه "**المقراض الحاد**" و ديوانه الشعري وغيرهم من الكتب والتآليف. و "كانت له مبرات كثيرة، من جملتها أنه كان يوزع راتبه على الفقراء و المساكين، و كان خرجه أكثر من دخله، حيث توفي وعليه ديون اقتضت بيع بعض أملاكه، و كان يعظم أهل العلم، حسن المسامرة لطيف المعاشرة، لا يرد سائلاً ولا يخيب قاصدا، وكانت رسائله تترى إلى جميع الجهات بحيث لو جمعت لبلغت عدة مجلدات، وله رحمة الله عليه خلوة بمنزله في قرية أشرفية يتحنث بها في شهر رمضان من كل عام، وكان مدة عمره يتعبد على مذهب الإمام مالك، وكان يتنافس بزيارة الفضلاء ويتمثل بأشعار الأدباء وكانت تأتي إليه من كل فج، و يكافئ عليها بالجوائز العظيمة" (القاسمي الحسني، 2005، صفحة 211_212) ، فالناظر لسيرته رحمه الله يشهد له بطيب الخلق وحب الخيرات والدفاع عن حقوق الإنسان .

3. الديني والإنساني في ثقافة الأمير عبد القادر الجزائري:

ساهم الدين الإسلامي والطرق الصوفية في الجزائر خلال القرن التاسع عشر الميلادي و خصوصا فترة مقاومة الأمير عبد القادر الجزائري في الحفاظ على مقومات المجتمع الجزائري و تحضيره للقتال ضد المحتل، وقد لعبت الزوايا والكتاتيب دورا مهما يتمثل في التعاليم الدينية والإنسانية والقومية و والوطنية خاصة في تفسير علوم القرآن و الحديث والفقه؛ وقد كان علماء هذه الزوايا يجتمعون فيها مع طلابهم ويلقون عليهم الخطابات و يتحاورون فيما بينهم من اجل ردع العدو المستبد الظالم، إضافة إلى تعليمهم أساسيات الدين الحنيف و كيفية التعامل مع الغير. ومن هنا يظهر الدور الروحي و الاجتماعي و التربوي التوعوي و حتى الإنساني في فكر هؤلاء الشيوخ و العلماء، منهم الأمير عبد القادر الجزائري و مقومات فكره الديني.

تميز الأمير عبد القادر الجزائري بصفات وأخلاق فاضلة كان لها الفضل في اتباع الطرق الصحيحة أثناء فترة توليه الزعامة ضد فرنسا، فقد ترعرع منذ صغره في المساجد والزوايا وقراءة الكتب المتعلقة بالمذاهب الصوفية، و" أدرك أن عنصر اللحمة الوحيد القادر على تكوين الأمة هو الدين. وبالرغم من أنه كان ينتمي إلى طريقة صوفية (القادرية) فإنه لم يعمل بوصفه قادريا ولم يسع ليفرض طريقته على الآخرين. كان يعمل باسم الإسلام وكانت طريقته الجديدة هي (الجهاد)." (خير فارس، 1969، صفحة 227) و " إن الدرجة التي بلغ بها الزعامة في العالم لم تنل اعتباطا، وإنما توقفت على فضائل خلقية مستمدة من روح الإسلام، ومن روح تقاليد وعادات وقيم المجتمع الجزائري" (بوغوفالة، صفحة 80) ، وكان في كل مرة يخوض فيها معركة ضد فرنسا يقوم بتذكير جيشه العسكري بأخلاقيات المحارب المسلم التي يجب أن تلازمه طوال فترة الحرب "فقد اشترط الأمير على جيشه ألا يقتل الصبيان والنساء والضعفاء وأهل الصنائع والمطيعين وكذا القسيسين و الرهبان، بل ينبغي أن تسد لهم الحاجة بإعطائهم ما يكفيهم وعشيرتهم من اللباس والمعاش، كما لا يجوز القتل لأخذ أموال العدو، ولا يجوز القتل غضبا أو غيضا" (بوغوفالة، صفحة 142)، وهكذا " وبفضل إيمانه القوي انضمت إليه قبائل كثيرة بدون أن يطلق رصاصة واحدة لإخضاعهم بل كانت بلاغته و حجته كافيتين ليفهم الناس أهدافه في تحقيق الوحدة ومحاربة العدو" (الامير، 1971، صفحة 16) . و قد تمسك الأمير بتعاليم الشريعة الإسلامية تمسك العارفين، وقد ساعده إيمانه السويخ بالثبات في شتى الأمور الدنيوية، ووظفها أحسن توظيف في كتاباته، " فهو يؤمن أن الخالق قد أودع في تعاليمه من المبادئ ما يتطابق وجوهر العقل، لذلك لا مباينة بين ماتقرره الشريعة وبين ما يختاره العقل السوي، و ليس للعارف إلا أن يحسن إدراك تلك الصلة القائمة بين الحقيقة والشريعة، ليخلص إلى الإيمان والإقرار بالكمال للخالق" (عشراتي، 2004، صفحة 21) ، وفي هذا الصدد يشرح معنى الآية (مرج البحرين) فيقول عنها: " فالبحران الشريعة والحقيقة، و البرزخ بينهما العارف، فلا تبغي الشريعة على الحقيقة، و لا الحقيقة على الشريعة، فهو دائما بين ضدين ومشاهدة نقيضين ينفي ويثبت و ينفي عين ما أثبت، لا يستقر به قرار، و لا تطمئن به دار، متحرك ساكن، راحل قاطن، فهو كالطائر يطير من غصن إلى غصن، و الذي طار إليه هو الذي طار عنه، يشاهد الشريعة بقوله: اعلموا فسيرى الله

عملكم. يشاهد الحقيقة بقوله: لا يقدرون على شويا مما كسبوا" (الجزائري، صفحة 148) ، ثم يقول عن القرآن: " فالقرآن دواء العقائد الفاسدة والأخلاق الرديئة الكاسدة وهو النور الذي به تبصر الأشياء كما هي حقا أو باطلا، وهو بعينيه للذين لا يؤمنون وقر" (الجزائري، صفحة 803) ، ويضيف: " إن النجاة والسعادة كل السعادة وأساس كل خير و عطاء و زيادة هي في اتباع الشرع في كل ما ورد وصدر والتمسك بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ــصــ في المنشط والمكره والعسر واليسر" (الجزائري، صفحة 807). والقرآن الكريم يحثنا عن تكريم الإنسان عامة، و ألا ننقص من شأنه وأن الإنسان الأبيض متساو مع الأسود، وأن الله ميز الإنسان بالعقل والتفكير والتدبر، " و قد اشتهر الأمير بين الناس بنزعته الإسلامية، و اهتمامه بالقرآن والسنة والتصوف السني الرشيد على نهج الشيخ عبد القادر الجيلاني الذي أثنى عليه علماء السلف من أمثال ابن تيمية وابن القيم وغيرهم كثير" (الصلابي، صفحة 09) ، ثم إن الأمير لم ينقطع عن أمر التعبد والتقرب من الله تعالى في كل الأوقات، بل أضاف إلى ذلك عملا أخلاقيا ودينيا خدمة للدين الإسلامي هو نشاط استنساخ الكتب والمصاحف الدينية ونشرها لمختلف مساجد الوطن التي زارها وعمل بها، ويقول حول اهتمامه بالطرق الصوفية: " كنت مغرما بمطالعة كتب القوم رضي الله عنهم منذ الصبا، غير سالك طريقهم، فكنت أثناء المطالعة أعثر على كلمات تصدر من سادات القوم وأكابرهم يقف شعري وتنقبض منها نفسي، مع إيماني بكلامهم على مرادهم، لأني على يقين من آدابهم الكاملة وأخلاقهم الفاضلة" (الجزائري، صفحة 58)، ثم " إن عبد القادر رجل متميز بمظهر الوداعة والحزن الذي يحتفظ به حتى في الوقت الذي تفرض عليه طبيعة عمله أن يكون ذا وجه صارم وسط أتباعه، و في نفس الوقت فإن المشاعر التي تطغى على ملامحه هي مشاعر ذات طبيعة كلها دينية" (بيربروجير، 2006، صفحة 99) ، وقد ازداد تصوفه خاصة أثناء فترة نفيه من الجزائر وسجنه في سجن فرنسا، ليجعل منه التصوف إنسانا محبا للسلام وحب الخير والعطف على المساكين و المحتاجين و كرس حياته خدمة لهم وللإنسانية جمعاء.

4تكريس الأمير عبد القادر لمبدأ التعايش السلمي في حياته:

تظهر روح الإنسانية في فكر الأمير عبد القادر من خلال جهاده و حبه للجزائر و دفاعه عن حقوق الإنسان بطريقة شرعية خاصة معاملاته مع الأسرى في معاركه المستمرة و الطويلة، حيث انه طلب كاهنا فرنسيا من أجل أسراه بغية تسليتهم هناك و التحدث إليهم وقبول طلباتهم الشخصية، و في سنة 1277هـ=1860م وقعت الحادثة الشهيرة التي سمع بها كل العالم و عي حادثة الصراع بين المسلمين و المسيحيين، التي راح ضحيتها الكثير " فشهدت هذه السنة مأثرة رائعة في تاريخ التسامح و تعايش الديانات، أعادت إلى سطح الأحداث شخصية الأمير عبد القادر إلى حد اقتراح بعض الشخصيات الأوروبية الأمير عبد القادر امبراطورا للعرب، و هذا بعد إطفائه لنار الفتنة بين النصارى و المسلمين في دمشق سنة 1860م بإيواء قرابة 15.000 نسمة من النصارى، كان من بينهم نائب القنصل الفرنسي، و قناصلة انجلترا، وقنصل الولايات المتحدة الأمريكية الذي أصيب بجروح، و قنصلي اليونان و روسيا، و أكثر من ذلك فقد خصص الأمير عبد القادر مبلغا ماليا قدره خمسة قروش لكل شخص يحمل إليه أسيرا حيا، وبهذا السلوك يكون الأمير عبد القادر قد عبر عن تمسكه بالقيم الإنسانية، و احترامه للغير دون ميز عرقي أو ديني" (بوغوفالة، صفحة 72) و بهذه الأخلاق القيمة و النبيلة يكون الأمير قد سجل موقفا إنسانيا كبيرا بحمايته للنصارى في الشام من ذلك العنف والدمار؛ كما"وقد طلب الأمير من المسلمين والمسيحيين الإصغاء إليه والحال أن نماذج الحوار التي قام بها، و إنسانيته التي عبر عنها على مستوى الموقف و الكتابة، تقتضي استدعاء فكره بهدف درء الكثير من التطاحنات المفتعلة" (بوغوفالة، صفحة 152) ،وقد أقبل أمراء الدول الخارجية بتقديم الهدايا والأوسمة والشهادات والأسلحة والاعترافات الجميلة نظير ما قدمه الأمير عبد القادر من مساعدة للنصارى، منهم ما قدمته الملكة فيكتوريا ملكة المملكة المتحدة لبريطانيا بندقية ذهبية، أما الامبراطور الفرنسي نابليون الثالث الذي قام بإخراجه من السجن، فقد قدم له سيفا ووساما يحمل صورة الأمير في الوجه الأول، إضافة إلى خطاب كتابي في الوجه الثاني، وغيرهم من الهدايا التي تعبر عن درجة العرفان والتبجيل لما فعله الأمير من أجل النصارى.

ومن مظاهر تسامح الأمير عبد القادر مع أعدائه نجد قول الجنرال **دوماس** في هذا الصدد، يقول: " إنك ستجده أعظم وأجل في محنته منه في عزه. إنما ما يزال، كما عرف عنه، يسمو إلى أعلى الدرجات. إنك ستجده معتدلا بسيطا جذابا متواضعا ثابتا لا يشكو أبدا، معتذرا لأعدائه _حتى أولئك الذين مازال يمكن أن يعاني على أيديهم كثيرا_ ولا يسمح أبدا أن يذكروا بسوء في حضرته. ورغم أنه قد يشكو عن حق من المسلمين أو المسيحيين فإنهم سواء يجدون منه الصفح.." (تشرشل، 1974، صفحة 257_258) فنلاحظ من خلال شهادة الجنرال دوماس أنه كان يحب ويحترم الأمير ويشيد بخصاله وصفاته الخلقية التي شب عليها منذ صباه، ثم "إن خطابات الأمير الإنسانية كانت أخلاقية بامتياز، فالأمير لم يتكلم عن الإنسانية بخطابات رنانة وبيانات بليغة وإنما أقر القول بالفعل، بداية من توليه الإمارة التي عرضت عليه عرضا، وصولا إلى حله لمعضلات عويصة خصوصا ما تعلق بتلك الفتنة التي كان يمكن أن تؤدي إلى قتل وتشريد آلاف المسيحيين" (بوغوفالة، صفحة 149) ، ثم يضيف قائلا فيما يخص اختلافهم مع بعض: " آه لو كانوا قد استمعوا، آه لو وجدوا لي ذلك الراغب في معرفة الطريق... لو استمع إلي المسلمون والمسيحيون لكنت قد قضيت على تناحرهم، ولجعلت منهم أخوة في الخارج والداخل" (اتيين، 1997، صفحة 16)، وفي موضع آخر وخصوصا أثناء رحلة وفد فرنسي من أجل مقابلة الأمير في أحد أقاليمه، شهد له الفرنسيون بحسن أخلاقه ومبادئه الحميدة حتى مع العدو، حيث قام **بيربروجير** في نهاية رحلته وخاصة عند قيامه بمحادثة الوداع مع الأمير بطلب منه وهو أن يسمح له بالسفر نحو القبلة (الجنوب)، أي: بين الأطلس الصغير والصحراء الذي يشكل قطعة طويلة من الأرض؛ وبعد أن قام **بيربروجير** بعرض أسباب الطلب المقنعة وافق الأمير على طلبه، يقول **بيربروجير** في هذا الصدد: " لقد وافق الأمير على كل ما طلبته بطريقة ودية للغاية، و قد قال لي: (لا أعتقد أنك ستقوم بهذه الرحلة الآن، نظرا لسوء الأحوال الجوية ولكن تعال إلي في الربيع في المدية ولا تفكر في الحصان ولا في المال وسترى كيف يقوم العربي بكرم الضيافة). ولقد كان الأمير في هذه الأثناء شديد الانبساط. وقد طلب منه أيضا الدكتور بوديشون، وهو أحد مرافقينا، الترخيص له بالسفر داخل البلاد، فأعطاه الرخصة بكل رضى

وتكرم..." (بيربروجير، 2006، صفحة 109) فهذا النص يبين مدى ثقافة ووعي الأمير عبد القادر السياسية والأخلاقية، ومدى ثقافة محاورته للآخر بكل سلاسة وتعقل بعيدا عن العصبية والغضب.

وقد تألم الأمير عبد القادر لخبر موت الأسرى الفرنسيين الذين أسروا في موقعتي الغزوات وعين تموشنت الذي تجاوز عددهم 100 أسير في غيابه، وبعد عودته من السفر قام بإطلاق سراح عشرة من الضباط الفرنسيين وقام بإرسال رسالة معهم لإيصالها إلى ملكهم تنص على:" لقد شاع في غيابي أن الفرنسيين عازمون على تحرير أسراهم بالقوة من أيدي العرب، ثم فشا بين الناس أن سلطان مراكش عازم على إنقاذهم من يد خليفتنا رغما عنه، فكان هذا من سوء سلوك نوابكم سببا لما وقع بالأسرى من غير إذن منا ولا علم لنا، و الآن وقد أطلقنا سراح عشرة ضباط مع الرئيس كورلي دي كوفري وهم يعلمون بما أجريناه." (الصلابي، صفحة 255) ثم قام بتسليمهم في أكتوبر سنة 1846م.

لقد كانت للغة حوار الأمير عبد القادر أهمية كبرى أثناء المفاوضات خاصة اللغات الأجنبية التي لم يكن يتقنها، وكان من واجبه إرسال خطابات ومراسيل مختلفة إلى الأجانب يتكلم فيها عن الأمور السياسية والعسكرية الاجتماعية، فاللغة عنده هي بمثابة شرط إنساني مدني يربطها بالملكات والقدرات العقلية وبعمليات التواصل مع الآخر ومنذ توليه أمر الحكم وهو يسعى لإقامة الاتفاقيات التي تجمعه مع الاحتلال الفرنسي من أجل تجنب الحرب والدمار قدر الإمكان، ليصبح الأمير فيما بعد رمزا من رموز المفاهمة والتعاون "وينتزع منهم عهد الشرف من أجل إقامة علاقة دائمة للتفاهم والتعاون المبني على أسس من الحسنى والأخلاق" (عشراتي، 2004، صفحة 58) . ومن أقواله حين كان يحاور ويخاطب أفراد جيشه وهو يدعوهم لتنفيذ خططه الاستراتيجية: " لا تحاربوا الفرنسيين في جمع كبير، بل الاقتصار على مضايقتهم ومطاردة أجنحتهم، وقطع اتصالاتهم والوقوع على معداتهم ووسائل نقلهم، والتراجع الخادع، ونصب الكمائن والهجوم المفاجئ لإذاعة الارتباك والحيرة والدهشة فيهم" (الامير، 1971، صفحة 19) ، فقد كان الأمير ذكيا وفطنا ، يعرف كيفية التصرف أثناء الحرب.

5. خاتمة:

ومن خلال تتبع مسيرة و نضال شخصية الأمير عبد القادر الجزائري نستخلص جملة من النتائج التي تعلقت بموضوع الديني و الإنساني في فكر الأمير عبد القادر وهي كالآتي:

_كانت بداية الثورة الجزائرية المسلحة خلال القرن التاسع عشر مع القائد و المجاهد و الصوفي الأمير عبد القادر الجزائري.

_اتصف الأمير عبد القادر الجزائري بكل مواصفات المحارب القومي و الوطني و الثوري والدبلوماسي.

_ساهم الدين في المحافظة على مقومات الشخصية الوطنية، والتصدي للاستدمار الفرنسي بشتى الطرق الممكنة، خاصة بالوعي و النصح و الإرشاد مثلما كان يفعل رجال المقاومة المسلحة أمثال الأمير عبد القادر الجزائري.

_لقد حاول الاستدمار الفرنسي تدمير و تشتيت كل ما يتعلق بالدين الإسلامي من زوايا و مساجد و كتاتيب و مدارس، ووقف للتجمعات الشعبية، و سجن كل من يقف ضد قراراته وكل هذا نابع من خوفه الشديد من الدين و الشخصية الوطنية الجزائرية.

_كان هدف فرنسا هو تدمير اللغة العربية و استبدالها باللغة الفرنسية، و قامت بوضع مخططات عسكرية و سياسية من اجل تطبيقها، منها تدمير المساجد و استبدالها بالكنائس و منعها من تقديم الخدمات الاجتماعية و الإنسانية، كما أن فرنسا كانت تدرك أهمية المساجد و الزوايا لأنها تمثل حصن من حصون الثقافة الإسلامية المهمة، و مصدرا للغة و مدرسة للشخصية العربية التي تنبعث منها الروح العلمية و الوطنية.

_ضرب الأمير عبد القادر الجزائري في العصر الحديث أسمى صور مبادئ السلم و السلام و الإنسانية، و مساهمته في تحقيق مبدأ المساواة و الحرية و العدالة لكل إنسان حتى مع الخصوم.

_جسد الأمير عبد القادر مبدأ الحوار في ثقافته و فكره أثناء توليه المعارك ضد فرنسا، وحتى بعدها، ذلك أن الحوار يساعد في تفادي العديد من الصراعات و التصادمات بين الشعوب، وفهم وجهات نظر الاخر و احترامها، و لذا فقد حرص الدين الإسلامي على تبني المبدأ في الحياة اليومية .

6. قائمة المراجع :

1.ادريان بيربروجير. (2006). *مع الامير عبد القادر رحلة وفد فرنسي لمقابلة الامير في البويرة (1837_1838)*. (ابو القاسم سعد الله، المترجمون) الجزائر: منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة اول نوفمبر 1954.

2.برونو اتيين. (1997). *عبد القادر الجزائري*. (المهندس ميشيل خوري، المترجمون) بيروت_لبنان: دار الفارابي للنشر و التوزيع.

3.دودان بوغوفالة. *الامير عبد القادر عبقرية في الزمان و المكان*. (مكتبة الرشاد للطباعة و النشر، المحرر) الجزائر: منشورات مخبر البحوث الاجتماعية و التاريخية.

4.سليمان عشراتي. (2004). *الامير عبد القادر المفكر مساجلات في قضايا اللغة و المعرفة وفقه الخطاب القراني* (المجلد 2). دار الغرب للنشر والتوزيع.

5.شارل هنري تشرشل. (1974). *حياة الامير عبد القادر*. (ابو القاسم سعد الله، المترجمون) تونس: الدار التونسية للنشر.

6.عبد القادر الجزائري. *المواقف في الوعظ و الارشاد*.

7.عبد المنعم القاسمي الحسني. (2005). *اعلام التصوف في الجزائر منذ البدايات الى غاية الحرب العالمية الاولى (دراسة احصائية تحليلية)* (المجلد 1). الجزائر: دار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع.

8.علي بن محمد الصلابي. *سيرة الامير عبد القادر قائد رباني و مجاهد اسلامي*. بيروت_لبنان: دار المعرفة.

9.محمد الامير. (1971). *تحفة الزائر في ماثر الامير عبد القادر و اخبار الجزائر*. بيروت_لبنان: دار الكتب العلمية.

10.محمد الطمار. (1969). *تاريخ الادب الجزائري* (المجلد 1). الجزائر.

11.محمد خير فارس. (1969). *تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني الى الاحتلال الفرنسي* (المجلد 1). دمشق_سوريا.